

# مفتي عام السلطنة يحذر من الكذب لأنه يؤدي إلى انقلاب الموازين وتغير الأحوال والفساد في الأرض

متابعة - أحمد بن سعيد الجرداني:

■ في هذا اليوم من شهر أبريل يتردد على ألسن الناس الكذب فقد أكد سماحة الشيخ العلامة أحمد ابن حمد الخليلي المفتي العام للسلطنة بقوله: الكذب آفة مذمومة نهى عنها الإسلام وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلّم عندما سئل أيّكون

# الحذر من الكذب

## اللسان أخطر الجوارح

■ ورد في بعض الأحاديث قد يكون المسلم بخيلا وقد يكون جباناً، لكنه لا يمكن أن يكونا كذاباً؛ لماذا يستنيت هاتين الصفتين ولم يستثن الكذب؟

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد: فإن الله تبارك وتعالى ائتمن الإنسان على كل جريحة من جوارحه ليسخرها لما فيه رضا الله تعالى أولاً ثم لما فيه مصلحة بني جنسه ثانياً، ومن بين هذه الجوارح اللسان، واللسان أخطر الجوارح جميعاً لأن اللسان قد يؤثر تأثيراً بالغا، فاللسان يمكن الإنسان أن يضل غيره، ويمكنه أيضا أن يهدي غيره، واللسان يمكن أن يموه الحقيقة ويجعل من الحق باطلا، ومن الباطل حقا، ومن الغي رشدا، ومن الرشد غيا، ومن الفساد صلاحا، ومن الصلاح فسادا، ومن انحطاط رقبا، ومن الرقي انحطاطا، وهكذا فإن اللسان عندما يتسلط على شيء ما ولم يكن صاحبه مسخرا إياه فيما يرضي الله تبارك وتعالى بحيث لم يكن مراقبا له في تصرفاته وفي أعماله لا ريب أنه يؤدي إلى خطر كبير.

وهل كان ضلال الضلال وانحراف المنحرفين وفساد الفاسدين إلا بتأثير من الألسنة الخبيثة التي انحرفت فحرفت، والتي ضلت فأضلت، لأجل هذا جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم التنبيه على خطورة ما يأتي به الإنسان من خلال نطقه، فقد قال في نصيحته لمعاد رضي الله تعالى عنه: ألا أدلك على ملاك ذلك كله، احفظ هذا. وأشار إلى لسانه. فقال يا رسول الله: أننا مؤاخذون بما نقول؛ قال له: تكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم. وجاء في الحديث الشريف أن الرجل يتكلم بالكلمة ما يتبينها تهوي به في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب.

وجاء في الحديث أن الرجل ليتكلم الكلمة من رضوان الله لا يحسبها تيلغ ما بلغت يكتب الله تعالى له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يظنها أن تيلغ ما بلغت يكتب الله تعالى عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه. فهذا كله يدل على خطورة الحديث، ولا ريب إنه إن كان الإنسان مأمورا أن يحفظ لسانه بحيث لا يتركه يلغي في أعراض الناس ويقول الهجر من المقال ولا يأتي بالفاسد من الحديث فإنه من باب الأولى أن يكون مأمورا بأن يحفظ لسانه حتى لا يقول إلا الصدق ولا يعثر إلا عن الصدق بالصدق. ذلك لأن الكذب يؤدي إلى انقلاب الموازين وتغير الأحوال والفساد في الأرض، فمن أجل هذا جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلّم ما يدل على أن المؤمن ليس من شأنه أن يكذب، فقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم: يطبع المؤمن على الخلال كلها ليس الخيانة والكذب.

وجاء أيضاً عنه صلى الله عليه وسلّم عندما سئل أيّكون المؤمن جباناً قال نعم، أيّكون بخيلاً. قال: نعم - وذلك بطبيعة الحال مع مكابرتة هذا الطبع وإنفاقه مما فرض الله تعالى عليه الإنفاق منه - ولكن بالنسبة إلى الكذب يتعدن أن يبقى إنسان مؤمناً مع كذبه، كيف والله تبارك وتعالى يقول (إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بأيات الله وأولئك هم الكاذبون) فالذي يفترى على الله تعالى الذي لا يؤمن بأيات الله تعالى.

ومن المعلوم أن في الكذب خطورة بالغة فإن النبي صلى الله عليه وسلم يرشد إلى الصدق ويبين فضله وميزته وأثره على حياة الإنسان ويحذر من الكذب ويبين كذلك خطورته ونذالته وأثره السيئ على حياة الإنسان، فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول: إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا. فمعنى هذا أن الإنسان بتعوده الصدق وتحريه إياه والترامه به وعدم خروجه عنه يستمر على الصدق دائما فيكون الصدق سجية من سجاياه، بينما هو إذا انفلت لسانه بالكذب وتعوده فإنه يتحول الكذب إلى أن يكون سجية من سجاياه، فلذلك شدّد تشديدا بالغا في هذا الأمر، وأمر الإنسان أن يحرص على أن لا يعثر إلا على الصدق منه .

ونحن نرى أن أهل الجاهلية في جاهليتهم كانوا يربضون بأنفسهم عن أن يسجل عليهم الكذب سواء الوثنيين أو غيرهم، فنجد أهل الوثنية يحرصون على أن لا يعثر على كذب منهم، عندما كان هرقل يسأل أبا سفيان عن أحوال النبي صلى الله عليه وسلم وكان أبوسفيان مشركا وكان شديد العداوة للنبي عليه أفضل الصلاة والسلام ولكن مع ذلك كان يجيبه بصدق وأمانة، وترك هرقل وراء أبي سفيان أصحابه وقال لهم: إن كذبتني فكذبوه. فأبو سفيان قال: لم يخش أن يكذبوه وإنما خشي أن يعثروا على كذب منه فيتحدث الناس عنه بأنه قد كذب مع أنه كان سيذا شريفا في قومه، فكان يحذر أن يوصم بهذه الوصمة، هذا مع جاهليته مع كونه لا يؤمن بقواب على الصدق ولا يؤمن بعقاب على الكذب عند الله تبارك وتعالى ولكن يخشى سوء الأحدثوة بأن يتحدث الناس عنه بأنه قد كذب.

وكذلك نجد السؤال وهو يهودي ولكنه كان عربياً وطبيعته العربية كان حذرا من أن يتحدث عنه الحديث السييء ، نجده يقول: إنا وإن مالت دواعي الهوى وأنصت السامع للقاتل لا نجعل الباطل حقا ولا نرضى الحق بالباطل نخاف أن تسغه أحلامنا فتخمل الدهر مع



■ من البرنامج الديني سؤال أهل الذكر

## كذبة أبريل تقليد تغير المسلمين نشأت في الغرب

صاحب الرسالة وصاحب الحق اليقين، ولأنه المسئول عن هذا العالم وسيره واتجاهه، فليس مقامه مقام التقليد والاتباع، إن مقامه مقام الإمامة والقيادة، مقام الإرشاد والتوجيه مقام الأمر النهائي، ولئن تنكر له الزمان ووصاه المجتمع وانحرف عن الجادة لم يكن له أن يخضع ويضع أوزاره وسالم، بل عليه أن يقو عليه وينازله ويظل في صراع معه وعراك حتى يقضي الله في أمره، إن الخضوع والاستكانة للأحوال القاسرة والأوضاع القاهرة والاعتذار بالقضاء والقدر من شأن الضعفاء والأقزام، أما المؤمن القوي فهو نفسه قضاء الله الغالب وقدره الذي لا يرد) ومعنى ذلك أن المسلم مطالب بأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحرص على تحويل الناس من الفساد إلى الخير ومن العادات إلى الاستقامة ومن الضلال إلى الهدى ومن الغي إلى الرشد من الانحطاط إلى الرقي، وذلك ما لا يتم أبدا إلا إذا كان هو صورة إيجابية تمثل الإسلام وتجسده كما كان ذلك عند السلف الصالح ، ثم لا يكون ذلك أبدا إلا مع التزامه بقيم الإسلام وموارثه وأفكاره وتاريخه وتراته فإن ذلك يجعله مؤثرا لا متأثرا وقائدا لا منقادا .

أما مع كون الإنسان يتزلزل ويتزعزع ويستجيب لكل داع، ويتأثر بكل مؤثر، ويستفزه كل ما يلوح له فإن ذلك بطبيعة الحال يدعو الناس إلى عدم الثقة حتى ولو دعا هو إلى مكرمة أو نادى بخير وبصلاح وبإصلاح لكنه ما دام هو نفسه بهذه الحالة .

ونحن نرى أن الرسول صلى الله عليه وسلّم ربى هذه الأمة على الاعتزاز بموارثها وبأفكارها وبتاريخها وبكل قيمها وفضائلها، رباها على اعتزازها بصلتها بالله تبارك وتعالى، فلذلك كان يحذر هذه الأمة من التأثر بأي شيء مهما كان حتى في الأمور العادية، هو

المؤمن جباناً قال: نعم، أيّكون بخيلا قال: نعم، أيّكون كذاباً قال: لا من هنا يشدد الإسلام على أن الكذب آفة خطيرة تقضي على المجتمعات التي تجعل الباطل حقاً والحق باطلا وغيرها من الأمور السلبية التي تُغيّر موازين الحياة، فقد عالج الإسلام الكذب بطرق مختلفة..
فكما يقال: "لسانك حصانك إن صنته صانك"



نفسه صلى الله عليه وسلّم كما جاء ذلك عنه .
كان من شأنه عندما يدفن ميتا أن يقوم ويظل قائماً في حال دفن الميت، ولكن بينما كان قائماً صلى الله عليه وسلم مر بهم أحد وسلم وكان أصحابه قيام أجبار عليه وقال: تصنع، فقعد النبي صلى الله عليه وسلم وأمر أصحابه بالنعود وقال: خالفوهم خالفوهم، هذا لئلا يتأثر المسلم في سلوكه لأن التأثر في السلوك يؤدي إلى التأثر في العبادات ويؤدي إلى التأثر في العقيدة ويؤدي إلى التأثر في الشخصية الإسلامية بحيث تصبح شخصية مترعزة، ومن تهقّر خطوة واحدة تهقّر بعدها خطوات .

لذلك كان المسلم مأمورا أن لا يتقهقر أبداً أمام أي تيار من التيارات، وأن يظل صامداً متمسكاً بإيمانه حريصاً على عبادته لربه، وحريصاً على تميزه في أعماله وأقواله في عقيدته وتصوراته، في عاداته وعباداته، في سلوكه وأخلاقه، في مظهره ومخبره لئلا يكون هذا المسلم أمعة يقاد فينقاد ويدعى فيستجيب، وإنما يؤمر أن يكون هو المؤثر على الآخرين، وهكذا يجب أن يكون المسلمون جميعا.

الناس يرغبون في أن يسلا عن انفسهم في ان يقضوا مع رفاههم التسلية ويستخدمون المزاح للتسلية، فهل يجوز الكذب في المزاح؟

هذا من أخطر الخطر فإن الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول ويل للذي يتحدث إلى الناس ليضحكهم فيكذب ويل له ويل له أي يريد أن يثير الضحك وأن يسبب شيئا مما يعوده تسلية ويدفعه ذلك إلى أن يكذب توعده النبي صلى الله عليه وسلّم بهذا الويل، وهذا الوعيد الذي يأتي على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم وإنما هو وعيد الله إذ النبي صلى الله عليه وسلّم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، ويل له ويل له، ليس ذلك من شأن المسلم المؤمن الذي يخشى الله تبارك وتعالى ويتقيه، أولاً قيل كل شيء المسلم جاد ولا يعيل إلى الهزل وإن أتى بالكذبة أو الفكاهة في كلامه فذلك في حدود الصدق ولا يتجاوز حدود الصدق إلى غيره، لا يكون كذاباً بحال من الأحوال .

### الكذب على الأطفال

وحول الكذب على الأطفال يقول سماحة الشيخ: لا، لا، الكذب على الطفل أخطر من الكذب على الكبير، لأن الطفل هو كالمراة التي تعكس كل ما يقابها، وهو كاللوحه الصافية التي لم تنقش فتنقش كيفما نقشت، فخلق الولد له تأثير على الطفل، خلق الأم له تأثير على الطفل، ولذلك عندما كانت امرأة عند النبي صلى الله عليه وسلّم وكانت تدعو ولدها وقالت له: تعال خذ. قال لها النبي صلى الله عليه وسلم: ما الذي تريدين أن تعطينه قالت: أريد أن أعطيه تمرا، قال: أما لو لم تريدي أن تعطينه شيئاً لكنتين كذبة. هذا لأن الطفل يتأثر، فهو أحرى بأن يربى تربية لا يحسن فيها أي شيء من مخالفة الأوامر الشرعية، أما لو كان الطفل يفتح عينيه ويجد أباه يكذب عليه ويجد أمه تكذب عليه فإنه بعد الكذب شطارة ومهارة ويحرص هو أيضاً أن يكذب عليهما كما يكذبان عليه ويحرص أيضاً أن يكذب على زملائه كما يكذب عليه ويحرص على أن يبرع في الكذب ليزداد بذلك شطارة ومهارة حتى يفوق الآخرين في ذلك وهذا بطبيعة الحال مما يؤدي إلى أن يعتاد ذلك حتى يكون سجية من سجاياه وخلقاً من أخلاقه وهذا هو الانحراف عن الحق، والإنسان مسئول عن أولاده (كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) فكذلك هما اللذان يعودانه مساوئ الأخلاق

ورذائل الأقوال والأعمال بحيث يجد فيهما القدوة السيئة التي تعوده ذلك، والله تعالى المستعان .

ماهي ضوابط الكذب في الإصلاح بين المتخاصمين؟
في الإصلاح بين المتخاصمين الإنسان له أن يأتي بالكذب، إن وجد مندوحة فليستعمل المندوحة، وإن لم يجد مندوحة فلا بأس بأن يقول لأحد الخصمين بأن فلان الذي هو خصمه يذكرك في غيبتك بخير ولا يقول عنك إلا الخير الجميل وهو يقدرك وهو يحترمك وهو كذا وهو كذا مما يؤدي إلى أن يستل منه السخائم والأحقاد لأن هذا الكذب ليس فيه مفسدة وإنما فيه مصلحة ولما كان مصلحة فلا مانع لأنه لا يعتبر غشاً ولا يفود إلا إلى التصالح والتراضي بين المتخاصمين لذلك أبيع في الإسلام .

نرجو من سماحتكم توضيح التورية ومعناهاها وحدود استعمالها، وهل هي المعاريض نفسها؟

التورية أيضاً هي من المعاريض. التورية في الأصل أن يكون هناك معنيان معنى قريب ومعنى بعيد ويقصد الموري المعنى البعيد، وهي تنقسم إلى تورية مرشحة وتورية مجردة وتورية مبيينة كما قال ذلك علماء البلاغة ومن أمثلة التورية قول الشاعر : لولا التطير بالخلاف وأنه قالوا مريض لا يعود مريضاً لقضيت نجبا في جنابك خدمة لأكون مندوباً قضى مفروضاً هذه تورية مرشحة، الأصل أن المندوب معناه القريب المفهوم عند الناس هو ما يقابل المفروض مما يؤمر به، أي ما يكون بمعنى المأمور به أمراً لا يترتب على تركه عقاب وإنما يترتب على فعله الثواب هذا هو المندوب المعروف، كما قال علماء الأصول والفقهاء بأن الواجب هو ما يتاب على فعله امتثالاً ويعاقب على تركه، وقالوا في المندوب بأنه ما يتاب على فعله ولا يعاقب على تركه. ولكنه هو لم يقصد هذا المعنى مع كونه قرنه بالمفروض . وفي قرنه بالفروض ترشيع لهذه التورية حيث ذكر معه ما يناسب المعنى البعيد الذي وري به ولم يأت بالمعنى الذي وري عنه، لم يأت بما يتناسب المعنى الذي وري عنه، وإنما جاء بما يناسب المعنى الذي وري به. فنذكره المندوب مع المفروض كأنما يوحى بأن قصده أنه مندوب، كيف يكون مندوباً أدى مفروضاً، وإنما قصده لأكون ميتاً مندوباً يندبه أهله بعد موته وقد أدى فرضاً عليه. هذه هي التورية .

### أبعادها

ما هي الأبعاد الخطيرة لكذبة أبريل؟؟
كذبة ابريل أولاً هي تقليد لغى المسلمين من ناحية، ثم إن كذبة ابريل نشأت في الغرب عند الأسيان عندما سقطت الأندلس، عندما سقط آخر معقل من معاقل المسلمين وهو غرناطة في أيديهم كما قيل في أول يوم من شهر أبريل، وكان ذلك نتيجة خديعة المسلمين التي خدعوهم بها بحيث جنبا إليهم الشهوات واستطاعوا أن ينحرفوا بهم عن معالي الأمور ففرقوا في حب الشهوات وأخذوا يعاقرون الضم، ووصل الأمر إلى ما وصل إليه، فاستطاعوا أن ينقضوا عليهم كاتنقضاض السبع على فرسيته وأدى الأمر إلى سقوط هذا المعقل وهو غرناطة وهو آخر معاقل المسلمين فكان نتيجة ذلك أن احتفى الغربيون في هذا اليوم وخصوصاً الأسيان، وكانت بداية ذلك عند الكاثوليك خاصة ثم انتقلت هذه العادة إلى غيرهم، كانوا يبحثون بذلك اليوم بلقون كلمة يسمونها خدعة ابريل ثم تطورت بعد ذلك إلى كذبة ابريل.

والمسلمون بسبب ضعفهم وبسبب هزيمتهم النفسية واغترارهم بما يشاهدون عليه الغرب الآن من مظاهر التقدم والمدنية إلى آخره انجرفوا وراء هذه العادات وظنوا أنهم بذلك يرقون الكمال وأنهم بذلك إلى درجات وأنهم يصعدون إلى معالي الأمور بذلك سوف يشاركون الغرب في تقدمهم، هم استطاعوا أن يقلدوهم في هذه السفاسف ولم يستطيعوا أن يقلدوهم في معالي الأمور، لم يستطيعوا أن يقلدوهم في النظام ولم يستطيعوا أن يقلدوهم في الإدارة، أولئك اقتبسوا من الإسلام، كل ما كان عندهم من مظاهر الحضارة والمدنية إنمما استمدوه من الإسلام وهذا باعتراضهم بأنسنتهم ومع ذلك المسلمون ما استطاعوا أن يحاكيوهم في مثل هذه الأعمال، وإنما اكتفوا أن يحاكوهم في الرذائل فكانت هذه الانتكاسة الخطيرة .

ثم هي تؤثر أثرا خطيراً قد يصدم الإنسان أخاه أو قريبه أو أي أحد بأن يخبره عن فاجعة أمت ويندهش ذلك، وقد يسبب ذلك فاجعة تقع فعلاً، فقد يخبر الإنسان بموت قريبه أو نحو ذلك وليس ذلك من الحقيقة في شيء ويخجع ويصدم صدمة عنيفة قد تؤثر هذه الصدمة على قلبه وقد تؤثر على عقله وقد تؤثر أيضاً عليه بأن يسوق سيارة مثلاً قاصداً إلى هذا الموضع بدون وعي فيصطدم نتيجة عدم تركيزه في قيادة السيارة وعدم استجماع فكره واستجماع عقله وهكذا ، هذا كله ناتج عن هذا الكذب الخطير في هذا، والله تعالى المستعان. إن كان الغربيون هم سادة الموقف وهم الذين يتبعون هذا النمط فقد قرأنا العام الماضي بأن هناك جماعة في فرنسا سمّت نفسها الفكاهيين الثائدين بدأت هذه الجماعة بمائة رجل ثم أخذت بعد ذلك تنمو حتى وصلت إلى العام الماضي إلى ستمائة شخص وقعوا جميعا على وثيقة أنهم يترفعون عن الكذب في هذا اليوم، أي في أول يوم من إبريل، ويجعلون الكذب في ذلك اليوم من الأمور التي تنحرف بأصحابها عن النهج السليم، وأنه يجب توقي الكذب على كل أحد، هكذا في معتقد أولئك وفي سلوكهم، إذا يتبعون في هذا الأمر إذا كان لا بد من اتباعهم.■